دور الفكر السانسيموني في تشجيع الاستيطان الفرنسي في الجزائر

The role of sansimonian though in encouraging french settlement in Algeria

د . عابد بيبي[1]، جامعة الشلف، a.bibi@univ-chlef.dz
أ.د. ميلود بلعالية ، جامعة الشلف، m.belalia@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2022/05/12	تاريخ القبول: 2022/07/17	تاريخ النشر:2022/07/31

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز دور السانسيمونيين في تقديم الدراسات الاجتماعية إلى الحكومة الفرنسية، وخاصة ما يتعلق بالتنظير لحرب الإبادة في بداية الاحتلال ثم تقديم الدراسات الاقتصادية لتنفيذ مخططات الاستعمار الاستيطاني في الجزائر مع التركيز على المشاريع الكبرى وخاصة السكك الحديدية. ولذلك يعتبر الفكر السانسيموني أحد القضايا الأساسية التي ما زالت تثير إشكالات كثيرة حولها، لا سيما مساهماتهم في توطيد الركائز الأساسية للاستعمار الاستيطاني في الجزائر بعد فشلهم بمصر، باعتبارها مستعمرة للاستيطان الأوروبي عامة والفرنسي خاصة، وهذا ما هدد الهوية الجزائرية وطمس شخصيتها.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع خاصة ما تعلق بتسهيل مهمة الاحتلال الفرنسي، فإن السانسيمونيين كانوا ينادون بمسايرة الاستعمار العسكري إلى جانب الهجرة الأوروبية المدنية، وعليه عرفت الجزائر الاستثمارات والمنشآت في جميع الميادين وفي كل الجهات. وهذا لتشجيع وتسهيل حياة المستوطنين من جهة، وتسخير كل الطاقات والموارد الطبيعية لخدمة فرنسا من جهة أخرى، إلا أنه على الرغم من تحقيق للمنشآت الاقتصادية الكبرى التي عرفتها الجزائر بفضل تدخلاتهم، والمتمثلة أساسا في تشييد شبكة الطرقات وبناء السدود والجسور والموانئ وغيرها، فإن انعكاسات هذه السياسة كانت كارثية على المجتمع الجزائري الذي عرف حياة البؤس والتهميش إلى غاية الاستقلال.

كلمات مفتاحية: السانسيمونية، المستوطنين، الاحتلال الفرنسي، المجتمع الجزائري.

Abstract:

This article aims to highlight the role of the sansmonian in providing social studies to the french government, particularly with regard to the theory of the war of extermination at the beginning of the occupation and then to provide economic studies to implement settlement colonial plans in Algeria with a focus on major projects, especially railways. That's why theis one of the basic issues that still raise many problems around it. Especially their contributions to the consolidation of the main pillars of settler colonialism in Algeria after their failure in Egypt, as it is a colony of european settlement in general and the french in particular, and this is what threatened the Algerian identity and obliterated its character.

In view of the importance of this issue, especially with regard to facilitating the task of the French occupation, the sansimonians were calling to go along with military colonialism alongside european civil immigration, accordingly, Algeria has known investments and establishments in all fields and in all directions. This is to encourage and facilitate the settlers' lives on the one hand, and to harness all energies and natural resources to serve France on the other. However, despite the achievement of the major economic facilities that Algeria has known thanks to their interventions, which are mainly represented in the construction of the road network and the construction of dams, bridges, ports and others, the

[1] د. عابد بيبي ، جامعة الشلف، a.bibi@univ-chlef.dz

repercussions of this policy were disastrous for the Algerian society, which has known a life of misery and marginalization until independence.
Keywords: sansimonian, the french occupation, Algerian society.

مقدمة:

عانت الجزائر كثيرا من الاحتلال الفرنسي لها، لما عرفه الأهالي من الاضطهاد والظلم والاستيلاء على الأملاك، كما عانت من التأثيرات الفكرية الدخيلة على المجتمع الإسلامي والتي انجر عنها نتائج وانعكاسات سلبية مست عمق المجتمع الجزائري، كان أبرزها الاستعمار الاستيطاني، وهي سياسة غذتها تأثيرات الأفكار، وكان على رأسها الفكر السانسيموني، الذي عمل رواده على بقاء الاستعمار الفرنسي في الجزائر .

إشكالية البحث: ما هي طبيعة العلاقة بين السانسيمونيين وفرنسا الاستعمارية؟ وما هي أخطار التيار السانسيموني على المسلمين الجزائريين في بداية الاحتلال؟ وكيف ساهم السانسيمونيون من خلال أوفونتان ودي طوكفيل في التنظير للتوسع الاستعماري الفرنسي في الجزائر؟ وهل كانت تلك الأهداف الإنسانية المعلنة سامية فعلا، وما كانت علاقتها فعليا بالمشروع الاستعماري الاستيطاني في الجزائر؟

أهداف البحث: يهدف البحث في حقيقة الحركة السانسيمونية، والكشف عن خطرها في تفرقة المسلمين منذ نشأتها تحت رعاية فرنسا، ثم استفحال خطرها في الجزائر بداية الاحتلال بعد نجاح مخططها في نيل امتيازات حفر قناة السويس من عائلة محمد علي في مصر، مع التركيز على نماذج من التنظير لتوسيع الاحتلال الفرنسي في الجزائر،

منهجية البحث: اعتمدنا على المنهج الوصفي والتحليلي في رصد المعلومات التاريخية من مظانها حول هذه التيار الفكري الداعم للحركة الاستعمارية، وتحليل ما ادعاه منظروه من أباطيل فكرية في تجزئة العالم الإسلامي واحتلاله.

1. ظهور التيار السانسيموني:

ظهرت في أوروبا تيارات فكرية متعددة ساهمت بطريقة أو بأخرى في تنوير العقول وإخراجها من ظلمات العصور الوسطى، وفتحت الآفاق التي دعمت تطور البشرية، وخاصة بعد حالة الركود الفكري الذي ميزها، وعليه فإن التيارات الفكرية هي بمثابة حركات ثقافية تنتهجها مجموعة من الأفراد أو الجماعات التي تتبنى فكرا معينا أو اتجاها واحدا، وذلك بهدف تغيير نظام قائم بكل ما يتضمنه من محددات سياسية واقتصادية واجتماعية، واستبداله بنظام جديد. وليس للتيارات صفة الديمومة، إلا إذا تحولت إلى تنظيم أو حزب له دستوره ومبادئه وأهدافه وقوته وحضوره السياسي"[1].

ومن بين أهم التيارات التي ظهرت في العالم التيار السانسيموني الذي ظهر في أوائل القرن التاسع عشر في فرنسا وفي غيرها من البلدان الأوروبية على يد سان سيمون. لقد جاءت السانسيمونية[2] Saint-simonisme لتساهم في حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على المجتمع الأوروبي من جراء الاختلال في التوازن الطبقي واختلال العدل الاجتماعي في توزيع الثروات. فقد ظهر السانسيمونيون بأفكارهم المثالية، وبشروا بمجتمع يسوده العدل والنظام والانسجام عن طريق التشارك والعمل الجماعي"[3].

كان هدف سان سيمون هو بناء مجتمع عالمي، يدعو إلى توحيد العالم وتأمين السلام للجميع، بداية من الوحدة الأوروبية، ولا يتحقق ذلك حسب زعمه سوى بدعم الصناعة وتثمين الإنتاج والتصنيع، إلى جانب الاهتمام بمختلف شبكات الاتصال لربط العالم. وبذلك يكون هذا المنظر من السباقين الذين نادوا بالتواصل فيما بين الشعوب والحضارات، وتسهيل حركة الأشخاص من خلال ربط القارات، ولتوضيح ذلك كان شق القنوات المائية في العالم أحسن مشاريع السانسيمونيين، بعد تشييد قناة السويس بمصر. بالإضافة إلى مد شبكات من السكك الحديدية وغيرها من المشاريع، لتنظيم وتنوع مختلف المبادلات وضمان نمو وازدهار البشرية بصفة عامة. وقد اعتقد السانسيمونيون بغزو الغرب للشرق، كما نادوا بوحدة الشرق والغرب وبالاستعمار الذي تقوده أوروبا، وخاصة فرنسا وإنجلترا وألمانيا، لما تتوفر عليه من علم ومال وإرادة[4].

ومن هذا المنطلق فإن السانسيمونية هو مذهب إيديولوجي (فكري)، يدعو إلى الابتعاد عن المادية البحتة، وبدلا من ذلك يحث على العمل على احترام الإنسان وتشريف الإنسانية، من خلال تفضيل المصلحة العامة، ونبذ الأنانية، وإحلال مشاعر التضامن والكرامة محلها[5].

2.دور السان سيمونيين في احتلال الجزائر:

إن فكرة احتلال فرنسا للجزائر كانت بمثابة مشروع قد راودها منذ القرن السابع عشر، وعملت على تحقيقه منذ مطلع القرن التاسع عشر باستخدام كل الوسائل، وخاصة الحربية منها، والتي تجسدت في الغزوات البحرية المتكررة على سواحل الجزائر، فكانت بدايته، حين فكر الملك لويس الرابع عشر[6] في غزو واحتلال بلدان شمال إفريقيا (المغرب العربي)، وخاصة الجزائر التي هي قلبها بدعوى الأمن البحري لفرنسا. ومما يؤكد هذا ما ينسبه ولو في أسلوب خيالي، مؤلف فرنسي إلى شارل العاشر، الذي شن حملة الاحتلال سنة 1830، من أنه أراد أن يحقق حلما راود جده لويس التاسع الذي مات دون إنجازه"[7].

وتماشيا مع ما تم ذكره ولأجل تحقيق فرنسا هدف غزوها الجزائر، جندت كل إمكانياتها المادية من ترسانة حربية كبيرة وأخرى بشرية ضخمة من عسكريين ومبشرين ومنظرين ورجال مال وأعمال وغيرهم، ساروا جنبا إلى جنب لأجل تحقيق هذا الهدف. فكان هذا التحرك ظاهريا هو تأديب الداي حسين وتخليص الجزائريين من الحكم التركي والقضاء على القرصنة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، بالإضافة إلى نشر الحضارة وغيرها من التبريرات، وباطنيا هو الاحتلال والاستيطان الدائم واستغلال الأرض الجزائرية واستعباد سكانها. ولذلك يجب الأخذ بالحسبان أنه مهما تعددت أسباب الاحتلال وتنوعت وإن كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو دينية فكانت نتيجته هو عيش الجزائريين في سلسلة طويلة من المأساة والمعاناة إلى غاية الاستقلال.

كان من نتائج الثورة الباريسية الثانية في 24 فيفري 1848 التي أطاحت بالملك لويس فيليب وأقامت الجمهورية الثانية برئاسة لويس نابليون، أنها حكمت بإبعاد العناصر السياسية غير المرغوب فيها هناك إلى الجزائر. وبذلك جاء عدد من السياسيين ذوي الاتجاهات المختلفة والمعادية للنظام الجديد. وكان على هؤلاء أن يجدوا الأمن والعيش في الجزائر على حساب أهلها. ونفس الشيء حدث بعد انقلاب لويس نابليون ضد الجمهورية الثانية عام 1852 ونصب نفسه إمبراطورا على فرنسا وحمل لقب نابليون الثالث. فقد حملت السفن عددا من المعارضين للأسرة النابوليونية Napolitaine إلى الجزائر، وبالطبع وفرت لهم إمكانات العمل والعيش في الجزائر. وكان لهذه الهجرة وجه أخر إذ أن المهاجرين في هذه المرة لم يكونوا من شذاذ الآفاق وحثالة المدن والعاطلين والمغامرين. ولكنهم في الغالب من فئة المثقفين والحرفيين والنقابيين[8].

كان نشاط الحركة السانسيمونية ذو طبيعة نظرية، إذ أن فلسفة سان سيمونSaint-Simon (1760-1825)، فيلسوف ومفكر اشتراكي فرنسى، مهد بأفكاره للثورة الفرنسية، أثرت مدرسته السان سيمونية في أوروبا ومن أتباعه اوغست كونت، كارل ماركس، جون ستيوارت ميل وأغستين تييرى[9] قد طورها خلال سنوات 1802 و1825 من خلال عديد المقالات والمنشورات والكتب حتى المشاريع المختلفة ليس فقط ثمرة علمية واسعة، بل إنه يعتمد على خبرة ملموسة استثنائية. استحوذت على الشركات التجارية والمالية التي استثمر فيها بالفعل قبل الثورة الفرنسية، من ناحية، ومن ناحية أخرى، يحب أن يقوم النظام الاجتماعي الجديد على أخلاق أرضية وليس على الأخلاق السماوية (الأديان) مبدأها الوحيد الإخوة العالمية[10].

كانت الجزائر أرض تجارب بالنسبة لفرنسا، خاصة بعدما فشلوا في مصر، ومن الممكن تنميتها في فرنسا إذا ثبت أنها ناجحة، وخاصة في بعض المجالات الهامة كالزراعة والعمران وغيرهما. وفي هذا المجال يؤكد أحد المنظرين الساسيمونيين أونفانتان[11] هذا الطرح ويقول أن التعمير سوف يكون له أثر حسن في تقدم البشرية جمعاء، وخاصة إذا

عرفنا بأن التعمير سوف يفتح المجال لتطبيق التجارب الاجتماعية التي تحتاجها فرنسا والتي سوف يصبح من الممكن تنميتها في فرنسا إذا ثبت أنها ناجحة. وان إفريقيا الشمالية بهذا الاعتبار هي أرض للتجارب، من أجل تصور جديد للإنتاج، وللمجتمع وللدولة[12].

ولكن تلك التجارب لم تر النور، إلا بعد أن تم الغزو العسكري والاستيلاء على أملاك الوقف ومصادرة أملاك الجزائريين وتخريب وهدم معظم المنشآت المادية الحضارية التي تعود إلى العهد الإسلامي، وخاصة العثماني منه. وكان الهدف من وراء ذلك هو طمس وتجريد الشعب الجزائري من هويته العربية الإسلامية، وخاصة إذا علمنا أن المعالم الأثرية والمظاهر المعمارية في أي قطر ولدى أي شعب هي بمنزلة الذاكرة الجماعية التي تشعر الأمة وتربطها بماضيها، وبمثابة بطاقة التعريف التي تظهر جوانب التفوق ومواطن الإبداع التي تكسبها المكانة المميزة في العطاء الحضاري والإسهام الإنساني[13].

وبناء على ذلك فإن الجزائر كانت تمثل منتهى طموحهم، لوجود الجيش والإدارة ووسائل الإعلام الأوروبية من جهة، والمجتمع الجزائري المؤهل لإجراء التجارب عليه، من جهة أخرى. وقد أثروا بالخصوص أثناء الفترة الاستعمارية (1850-1870)، فهم كانوا وراء المشاريع الاقتصادية الكبرى في الجزائر[14].

كان السان سيمونيون Saint-simoniens بمثابة المنظرين للجيش الفرنسي في الجزائر، بعدما قدموا إليها من مصر نتيجة فشلهم فيها، وأهم شخصية مثلت هذا التيار الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي سان سيمون الذي آزر الثورة الفرنسية، وجمع ثروة عن طريق المشاريع وأنفقها على صالونات العلماء، وكان كتاب الموسوم بـ: **المسيحية الجديدة** من أهم مؤلفاته وذلك في عام 1825، حيث أعلن أن مفهوم الإخاء البشري يجب أن يصاحب التنظيم العلمي، والتف حوله مجموعة من الشبان، قاموا بعد وفاته بتعديل مبادئه وتوضيحها ونسجوا منها نظاما عرف باسم السيمونية[15].

من الثابت أن ظهور هذا التيار كان على يد سان سيمون، ومن الطبيعي أن كان له خلفاء من بعده، وكان بروسبير أنفونتان Prospère Enfantin أبرزهم الذي أصبح يعرف بالأب الروحي للتيار السانسيموني Saint-simonien ، هذا الأخير الذي مكث في الجزائر سنتين، وعين في اللجنة العلمية سنة 1839، التي كانت مهمتها دراسة أوضاع الجزائر واكتشافها من جميع النواحي. كان له تلاميذ واصلوا مهمته بعد أن عاد إلى فرنسا، بعضهم من العسكريين أو من العاملين في المشاريع الكبرى كمهندسين، وفنانين وأطباء وغيرهم[16].

ومن الشخصيات السانسيمونية البارزة أيضا، والتي تركت بصمتها على تاريخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر، إسماعيل عربان[17] (توماس أوربان Thomas Urbain(1812-1884 . وهو فرنسي من مواليد كايان Cayenne، كان أبوه أحد تجار مرسيليا، وأمه من كايان، تعرف على الإسلام في مصر واعتنقه، كان مؤمنا أن السانسيمونية ستحقق الربط بين الغرب والشرق، وأنها ستؤدي إلى التوفيق بين المسيحية والإسلام. جاء إلى الجزائر بعد فشل مهمة أونفانتان في مصر، عمل كمترجم عسكري. وكان معتقدا حسب زعمه بترقية المجتمع الأهلي وإخراجه من التخلف مع المحافظة على بعض قيمه في وجه الغزو الذي يتعرض له[18].

دخل عربان العمل السياسي سنة 1868 بكتابه (الجزائر للجزائريين) الذي وقعه باسم جورج فوازان، وقد حذر فيه من سياسة ما سمي بالاستعمار الصغير. وهي الحركة التي تقوم على انتزاع الأرض من الجزائريين وتمليكها للكولون عن طريق حق الدولة في الأرض وتجميع الأهالي في محتشدات. كما كان يرفض إدماج الأهالي في الحضارة الفرنسية والمقصود بالأهالي هنا الجزائريين المسلمين الذين في نظر سلطات الاحتلال الفرنسي أنهم رعايا فرنسا لهم الواجبات دون الحقوق وليسوا مواطنين ، وكان يؤمن بفشل دمج الأعراق في بعضها[19].

ولتوضيح ذلك أظهر إسماعيل أوربان قدرة تأثيراته على الإمبراطور نابليون الثالث[20] الذي اقتنع أن الجزائر لا يجب أن تسلم للمستوطنين، وأن من واجب فرنسا الأول هو الاهتمام بسعادة ثلاثة ملايين عربي. وكان هذا إيذانا بتغيير كلي في السياسة فصدر في 26 نوفمبر 1860 مرسوم ألغى وزارة الجزائر على مضض من المستوطنين[21].

ومهما قيل عن أونفونتان فإنه كان من المنادين على ضرورة احتلال فرنسا للجزائر، ولا يكون ذلك ناجحا إلا بالتركيز على جهة الشرق، أي أن يبدأ الاحتلال من الجهة الشرقية للجزائر ثم يتوغل إلى غربها، وذلك تيمنا بما فعله الرومان من قبل، وجميع من أتى من بعدهم من العرب والأتراك (العثمانيون)، وحسبه فإن التسابق إلى الجهات الشرقية للبلاد كان نتيجة طبيعة السكان والمناخ وحتى الأرض وما تجنيه[22].

3. نماذج من جرائم التنظير السانسيموني لاحتلال الجزائر

ابتليت الجزائر في بداية الاحتلال الفرنسي بجرائم التنظير التي قامت عليها السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر للقضاء على المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي، ويتصدر منظري التطرف الفكري في أطروحة مدرسة التاريخ الاستعماري في الجزائر أوفونتان وألكسيس دي طوكفيل Alexis de Tocqueville ، وتعزى هذه الصدارة في التطرف الفكري إلى دعوة هذين المنظرين سلطات الاحتلال الفرنسي إلى ضرورة تنفيد أفكارهما لإبادة الشعب الجزائري في بداية الاحتلال، ومن هذه الجرائم:

1.3 جريمة التنظير لدمج الجزائر بفرنسا

انتهت فترة التردد الفرنسي في الجزائر (1830-1834)، بصدور قرار فرنسا المؤرخ في 22 جويلية 1834 المتضمن الاحتفاظ بالجزائر، ولذلك لم يتوان أوفونتان ودي طوكفيل في التنظير لجريمة دمج الجزائر بفرنسا، فقد كتب دي طوكفيل[23] سنة 1841: "لا اعتقد أنه بإمكان فرنسا التفكير جديا في مغادرة الجزائر، سيكون تركها الجزائر في أعين العالم إعلانا أكيدا عن انحدارها...إذا تراجعت إزاءها فستظهر في أعين العالم، وقد انحنت أمام عجزها واستسلمت لقلة شجاعتها". أما أونفونتان، فقد أفصح عن رأيه في التنظير لجريمة دمج الجزائر بفرنسا، فقد رفض أي تراجع من قبل فرنسا عن احتلال الجزائر، من جهة، ومن جهة ثانية، فقد انتقد كل الأصوات المنادية للتخلي عنها. ولذلك نادى بالاحتفاظ بالجزائر والعمل على تنفيذ أسس الاستعمار الاستيطاني في الجزائر[24]. واعتبر أونفونتان الجزائر من أهم الممتلكات الفرنسية في إفريقيا، فكتب: "إن ممتلكاتنا في الجزائر ذات أهمية، فالسيطرة عليها هي بالنسبة لنا شرعية ولا يمكن التخلي عنها، بل ولا يمكن حتى السماح بفتح النقاش سواء بفرنسا أو هنا في الجزائر عن امكانية الاحتفاظ بمقاطعاتنا الإفريقية، والتي هي لنا على قدم المساواة مع الألزاس واللورين"[25].

يبدو أن أونفونتان منظر جريمة دمج الجزائر بفرنسا، قد ذهب بعيدا فيما كتبه في مؤلفه، بعد أن لاحظ اتساع دائرة النقاش على مستوى المؤسسات والصحافة الفرنسية، فدعا إلى وقف النقاش والالتزام بمبدأ الاحتفاظ بالجزائر، واعتبر التخلي عنها وصمة عار في جبين المسيحية أمام كل ما قام به الإخوة بربروس في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. كما ربط هذا المنظر الاستعماري الاحتفاظ بالجزائر بالتكاليف الباهظة التي نجمت عن احتلال الجزائر سنة 1830. ولذلك حتى يكون مبررا لجريمة نهب الخزينة والاستيلاء على ممتلكات الجزائريين. وإذا كان أونفونتان، قد ساوى بين مكانة الجزائر والألزاس واللورين نظرا لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية بالنسبة لفرنسا، فإن تقدير مكانة الجزائر عند دي طوكفيل تجعله أكثر من ذلك، حين كتب: "الذين يقولون إننا نشتري المزايا التي يمكن أن توفرها لنا الجزائر بتضحيات كبيرة صادقون، ولكنهم مخطئون عندما يقلصون إلى لا شيء تقريبا هذه المزايا. الحقيقة هي أنه لو استطعنا الوصول إلى السيطرة بإحكام على ساحل إفريقيا هذا وامتلكناه بيسر، فإن تأثيرنا في الشؤون العامة للعالم سيكون أكثر قوة وانتشار"[26].

وهكذا كانت جريمة التنظير لدمج الجزائر بفرنسا أساسا للتشريع الاستعماري الفرنسي الذي أنهى فترة التردد فصدر المرسوم الملكي المؤرخ في 22 جويلية 1834 المتضمن إلحاق الجزائر بفرنسا، وأكده دستور الجمهورية الثانية سنة 1848 الذي اعتبر الجزائر جزءا من فرنسا.

2.3. التنظير السانسيموني لاحتواء العائلات الكبيرة

واجهت فرنسا الاستعمارية منذ سنة 1830 رد الفعل الوطني ضد الاحتلال الفرنسي، ولكنها عملت على احتواء العائلات الكبيرة في مناطق المقاومة الشعبية، فقربت بعض أعيان هذه العائلات الكبيرة وأغدقت عليهم الامتيازات الضريبية والاجتماعية بقصد التخلي عن نصرة قادة المقاومة الوطنية، وخاصة الأمير عبد القادر، أو تحطيم العائلات الكبيرة التي رفضت التعاون مع سلطات الاحتلال الفرنسي، فقد كتب دي طوكفيل: "كان الأتراك قد أبعدوا الارستقراطية الدينية العربية عن استعمال السلاح وإدارة الشؤون العامة، وبسرعة رأيناها بعد القضاء عليها تعود كما كانت محاربة وحاكمة. الأثر الأكثر سرعة والأكيد لغزونا هو إعادة التواجد السياسي للشيوخ وكانوا قد فقدوه. استعادوا سيف محمد لمحاربة الكفار، ولم يتأخروا في استعماله لحكم مواطنيهم: هذا أمر كبير ينبغي أن يلفت نظر كل من ينشغل بالجزائر. وتركنا أرستقراطية العرب تولد من جديد، ولم يبق لنا إلا أن نستغلها"[27]. وزاد هذا المنظر لجريمة احتواء العائلات الكبيرة، حين كتب: "لن نكون آمنين إطلاقا، ولن يكون لنا أي مستقبل على الساحل إن لم نصل إلى فرض سلطتنا في الداخل كيفما كان الحال، أو على الأقل منع العشائر المختلفة التي تسكنه من الاجتماع تحت سلطة قائد واحد"[28].

وجدت كتابات دي طوكفيل التنظيرية اهتماما من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي في بداية الاحتلال للالتفاف على الصعوبات التي اعترضت تنفيذ مشروع احتواء العائلات الكبيرة من الحضر في مدينة الجزائر وريفها، ثم التوسع الاستعماري في التيطري ووهران وعنابة وقسنطينة، وأدت السياسة الاستعمارية الفرنسية على أساس أفكار دي طوكفيل إلى انعكاسات اجتماعية خطيرة على المجتمع الجزائري في المدن والريف، ومنها تفكيك البنية الاجتماعية للعائلات الجزائرية الكبيرة، ومصادرة أملاكها ونفي أعيانها وشيوخها، وتهجير أفرادها نحو المناطق النائية في البلاد، وتقريب عائلات جزائرية تدين بالولاء المطلق للإدارة الاستعمارية لتكون عينا للاستعمار الفرنسي ضد الجزائريين، فقد أقدمت سلطات الاحتلال الفرنسي على طرد الأتراك والحضر من مدينة الجزائر، وجلبت البرانية من زواوة وميزاب ليكونوا موظفين وتجارا في قصبة مدينة الجزائر، وأبعدت العلماء ليحل محلهم معلمون فرنسيون لتعليم اللغة الفرنسية في الكتاتيب والمسجد الكبير بالعاصمة[29]. ومن الانعكاسات الاجتماعية الخطيرة على العائلات الجزائرية الكبيرة، ما أصابها من تدهور مكانتها الاقتصادية ومعاناتها من مظاهر الفقر والبؤس الاجتماعي بعد سنة 1830، ومن هذه العائلات يحي آغا، الشيخ مصطفى بن الكبابطي، الشيخ بن العنابي، حمدان بن عثمان خوجة[30]. فضلا عن تدهور المستوى الاقتصادي والاجتماعي لأعيان بعض العائلات نتيجة الاضطهاد الذي سلطته فرنسا الاستعمارية ضد العائلات الجزائرية التي رفضت الواقع الجديد.

3.3 التنظير الساسيموني لتكثير العنصري الفرنسي في الجزائر

واجهت سلطات الاحتلال الفرنسي في بداية الاحتلال صعوبات تتعلق بالهجرة الأوروبية إلى الجزائر، والسبب في ذلك عدم تحمس الفرنسيين للهجرة، ولذلك أوعزت الحكومة الفرنسية إلى الكاتب الرومانسي ألكسندر دوماس لكتابة رواية دعائية لاستغلالها في الإشهار للهجرة إلى مستعمرة الجزائر، فحمل عنوان كتابه "إفريقيا" للدلالة على اختراق المجهول، وما سيكسبه المهاجرون المغامرون من مكاسب اقتصادية ومكانة اجتماعية، وتسهيلات لبناء قرى استيطانية وتجهيزها ببنى تحتية من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر. واستغل منظر الاستعمار الرسمي في الجزائر أكسيس دي طوكفيل حاجة فرنسا الاستعمارية إلى أفكار تقوم عليها سياسة الاستيطان لتكثير العنصر الفرنسي في المجتمع الأوروبي في الجزائر، فكتب: "ينبغي لنا أن نطرح على أنفسنا سؤالا أولا: هل يجب مباشرة الاستيطان قبل إكمال السيطرة

ونهاية الحرب؟ لن أتردد لحظة في الإجابة: نعم. لا أحد بإمكانه القول متى ستنتهي الحرب، انتظار نهايتها يعني التأجيل اللامحدود للأمر الأساسي. وقلت وأكرر أنه ينبغي أن نجعل الاستيطان والحرب يسيران معا إذا كان ذلك ممكنا"[31]. أما أونفونتان، فقد تميز كتاباته بتشجيع فرنسا الاستعمارية على تنظيم الهجرة الأوروبية وتوسيعها إلى كل فئات المجتمع الأوروبي، ومما كتبه: "يجب أن تشمل الهجرة الأوروبية الفلاحين والتجار والصناعيين ورجال العلم والفن من الرجال والنساء"[32].

يبدو أن دي طوكفيل وأونفونتان، اشتركا في التنظير لجريمة تكثير العنصر الأوروبي بقصد دمج الجزائر بفرنسا عن طريق الفرنسة، وهذه الجريمة ساعدت فرنسا الاستعمارية على منح الاستقلال المالي والإداري للأقلية الأوروبية في الجزائر، فتحول المهاجرون الأوروبيون بفعل التسلط الاستعماري من حالة فئة شذاذ الآفاق الدخلاء على المجتمع الجزائري العربي المسلم، إلى فئة الأسياد بيدهم الأملاك الزراعية الكبيرة والمصانع والبنوك والتحكم في الشؤون العامة للجزائريين. ومن هؤلاء كبير الكولون السويسري هنري بورجو[33] الذي أستولى على مساحات واسعة في سهل متيجة بمساعدة فرنسا سنة 1843، وحولها إلى مزارع الكروم المنتجة للخمور حتى عرف بملك العنب.

وهكذا كانت كتابات منظري جريمة الاستعمار الاستيطاني في الجزائر القاعدة التي عملت بمقتضاها الإدارة العسكرية والمدنية للاحتلال الفرنسي على دمج الجزائر بفرنسا، ومنها: توسيع حرب الإبادة ضد الجزائريين، وإقامة المركز العسكرية في المدن والأرياف والاستعانة بالمكاتب العربية للترجمة لمراقبة حركة الجزائريين، ونقل المهاجرين الأوروبيين وتقديم التسهيلات البنكية للاستغلال الأراضي الجزائرية بعد مصادرتها وإقامة القرى الاستيطانية فيها، وتعميم تدريس اللغة الفرنسية في المدارس التي يكثر بها السكان الجزائريون للتمكين من جريمة الإدماج، وتطبيق القانون المدني الفرنسي في الأحوال الشخصية على العائلات الجزائرية في المدن والأرياف، والتضييق على المحاكم الشرعية الإسلامية في الأحوال الشخصية (عقود الزواج والميراث)، ومحاولة عزل الجزائر عن محيطها الإسلامي بدعوى اهتمام فرنسا بالتراث الجزائري، وإقامة المدارس الفرنكو إسلامية[34].

4.3 تنظير دي طوكفيل لحرب الإبادة في الجزائر

المعروف تاريخيا أن ألكسيس دي طوكفيل عاش في الولايات المتحدة الأمريكية، فأعجب بسياسة التطهير العرقي التي شنتها الإدارة الأمريكية ضد الهنود الحمر، وهم السكان الأصليون ضمن إطار تعمير الغرب الأمريكي، ولذلك استعجل أمره في تقديم خدماته الفكرية لفرنسا الاستعمارية في بداية الاحتلال، بقصد القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر، فكان دي طوكفيل يقدم استشاراته للجنرال بيجو في تطبيق الحرب الشاملة ضد الجزائريين لعزلهم عن المقاومة، وترهيبهم والتضييق الاقتصادي عليهم بقصد التخلي عن نصرة الأمير، فكتب: "لن نقضي على عبد القادر، إلا بجعل حياة القبائل المنضوية تحت لوائه لا تطاق، فتنفض عنه، وهذه حقيقة بديهية ينبغي التسليم بها أو ترك هذا الأمر. بالنسبة لي اعتقد أنه ينبغي اللجوء إلى كل الوسائل التي بإمكانها تدمير القبائل، لا استثني تلك التي لا تقبلها الإنسانية أو قانون الأمم"[35].

وهكذا منحت فرنسا الاستعمارية لجنرالات الجيش الفرنسي في الجزائر بمختلف أصنافه سلطات واسعة لارتكاب جرائم في حق الجزائريين في ظروف استثنائية، وخاصة فرض حالة الحصار وقانون الأهالي Code de l'indigénat البغيض والمحاكم الرادعة على الجزائريين، ومن هذه الجرائم القتل الجماعي لأبناء القبائل الجزائرية، وإبادة بعضها عن بكرة أبيها، والتهجير القسري، والاضطهاد والقمع المرعب للرافضين للاحتلال، والميز العنصري بين الجزائريين والأوروبيين، وجرائم التعذيب، ومصادرة الأراضي، وتفكيك ملكية العقارية للعائلات الجزائرية الكبيرة، وإرهاق كاهل الجزائريين بالضرائب غير القانونية، ومحاولة التنصير، ومحاربة اللغة العربية، وحرق محتويات الخزانات الخاصة ونهب

المخطوطات، وتشجيع الدراسات التاريخية والاستشراقية لتشويه تاريخ الجزائر، وتمجيد الاستعمار الروماني في الجزائر، وتجاهل التاريخ الإسلامي في الجزائر من الفتح حتى العهد الثماني.

4. أهم الأعمال الاستعمارية التي خطط لها السان سيمونيين في الجزائر

قبل الحديث عن الأعمال الاستعمارية التي تحققت على يد السان سيمونيين في الجزائر، كان لا بد من التطرق إلى أهم عملية رافقت الغزو العسكري، والمتمثلة في التركيز على عملية الاستعمار الاستيطاني بالجزائر، والدور الذي قدمه العسكريين ومساهماتهم في إنجاح هذا المشروع، وكان على رأسهم الحاكم العام بيجو[36] الذي عجز عن إخماد مقاومة الأمير عبد القادر[37]، فاعتمد على فلاسفة السانسيمونيين في اتباع سياسة الأرض المحروقة بعدما أدرك "أن استيطان الفرنسيين في الجزائر سيعمل على خلق حامية دائمة في هذا القطر، تساعد قوات الاحتلال ويمكنها أن تأخذ مكانها في يوم من الأيام"[38].

لقد عرف موضوع الاستيطان في الجزائر جدلا كبيرا حول إمكانية مباشرته قبل إكمال السيطرة وانتهاء الحرب، وفي هذا الإطار اقترح ألكسي دي طوكفيل[39] المؤرخ والمنظر الفرنسي من خلال النصوص التي كتبها عن الجزائر في بدايات غزو فرنسا لها واحتلالها فيما بعد، والذي كان من المؤيدين للاحتلال التام والاستيطان، أي مسايرة الاحتلال العسكري مع الاحتلال المدني، وحينذاك كتب مدافعا عن أفكاره "لقد قلت وأكرر أنه ما لم يكن لنا سكان أوروبيون في الجزائر، فإننا سنبقى مخيمين على الساحل الإفريقي ولن نستقر هناك. إذن ينبغي أن نجعل الاستيطان والحرب يسيران معا"[40].

ويطرح دي طوكفيل نظريته الخاصة لإنجاح الاستيطان في الجزائر أو بمعنى أخر كما يراها أحد المنظرين السانسيمونيين الذين أيدوا الاستقرار والاستيطان الأوروبي، وخاصة الفرنسي في الجزائر، وحول الشروط الطبيعية لنجاح الاستيطان يقول: "هل تريدون جذب الأوروبي نحو بلد جديد وإبقائهم فيه أعملوا على أن يجدوا فيه الهيئات التي يجدونها عندهم أو تلك التي يرغبون في وجودها، وعلى أن تسود فيه الحريات المدنية والدينية، وعلى أن يؤمن فيه التحرر الفردي، وعلى أن يتم الحصول على الملكية فيه بسهولة وعلى أن تكون هذه الملكية مضمونة، وعلى أن يكون العمل فيه حرا والإدارة بسيطة وسريعة والعدالة عادلة وسريعة هي أيضا والضرائب خفيفة والتجارة حرة. كما ينبغي أن تكون فيه ظروف اقتصادية مواتية بحيث يكون من السهولة الحصول فيه على راحة مادية وتحقيق الثراء أحيانا"[41].

كما يمكن اعتبار "أن حركة الاستيطان في بدايتها الأولى رافقتها مناقشات فكرية، وظهور نظريات متعددة حول المناطق الأصلح للاستيطان الأوروبي، فقد قام الطبيبان (ريكو Ricoux) و(بورديه Bordier) بدراسة جغرافية فلكية، حول خطوط الحرارة المتساوية، ونصحا الأوروبيين بالاستقرار في شمال خط عرض (25°). وهو الخط الذي يمر بمدينة معسكر غربا إلى باتنة ثم عين البيضاء شرقا، وكان ذلك يعني الاستقرار في المناطق والسهول الشمالية. ولذلك لا غرابة أن نجد فيما بعد نشاط الحركة الاستيطانية، والجهود السياسية والدبلوماسية تحت أغطية سياسية متعددة، وممارسات عسكرية يتخذ من المدن الشمالية والساحلية تحديدا إطار نظاميا وجيوستراتيجيا لفرض أيديولوجية التوسع والتوطين، والنهب والاستلاب، والاستغلال من أجل إحكام السيطرة الكلية على منابع ومنافذ الثروة الاقتصادية"[42].

عرفت الجزائر هجرة أوروبية كبيرة، وخاصة بعد توسع حركة الغزو العسكري والاستيلاء على معظم الجهات، ففي سنة 1850 بلغ عدد الأوروبيين المدنيين في الجزائر 130 ألف. فأصبح الغزو مدنيا واقتصاديا بعد الغزو العسكري، فما إن حلت سنة 1860 حتى أصبح عدد الأوروبيين في الجزائر 200 ألف، منهم 120 ألف فرنسي وكل هؤلاء أصبحوا يملكون أحسن الأراضي[43].

وبعد التركيز على عمليات الاستيطان وتحقيق هدف الاستقرار والاستثمار في الجزائر، كان من الواضح أن هؤلاء السان سيمونيين سواء كانوا من المُنظرين أو من العسكريين أو المبشرين، الذين تركوا أثارهم البالغة وبصماتهم الواضحة في تجسيد مشروع الاحتلال الفرنسي في الجزائر ومحاولاتهم التغيير الكلي للبنية التحية، فكانت لهم كفاءات عالية على

التنظير والتخطيط لمستقبل أفضل للمستوطنين في الجزائر فأنشأوا الشركات الكبرى واستغلوا الثروات فهيأوا الجسور وفتحوا معظم الخطوط الاستراتيجية، كخط قسنطينة-وهران بواسطة السكة الحديدية التي امتدت إلى عنابة بأقصى الشرق الجزائري، وكانوا حريصين على بعث ثورة في الحياة الاقتصادية واستغلال كل الثروات المتاحة والبحث عن المجهول (اكتشاف الصحراء) بفضل تأسيسهم لفيالق من الجيش خاصة بالأشغال العمومية في الجزائر"[44].

وبطبيعة الحال فقد ركز السان سيمونيون على تطوير شبكات النقل سواء البحرية أو مختلف الطرقات، ودفعوا إلى إنشاء شبكة للسكك الحديدية، وفتح الطريق البري العابر للصحراء. وبالمقابل اهتموا بالاستثمار في الموارد المنجمية والزراعة. ومن بين أهم الشخصيات التي تركت أثارا في حركة الاستعمار الاستيطاني بوارول[45] Poirel الذي قام بعمل في إعادة بناء ميناء الجزائر الذي أصبح مهددا بالخراب، أما فورنال Fournel الذي قدم إلى الجزائر في عام 1843 فقام بتأسيس أول خريطة جغرافية، كما كان أول من حفر البئر الارتوازية ببسكرة إلى جانب Armandarles-Dufour الذي كان أول من استعمل تقنية الحرث بالآلة البخارية (جرار)، وأدخل تربية الخيول الهجينة أي الخيول من فصيلة الأنجلو عربية، وفي نفس السياق أسس أخوه لالفونس Lalphonse المؤسسة المعدنية المعروفة بحمام ريغة، وذلك عام 1876، المتواجدة بأسفل جبال زكار الغنية باحتياط معدن الحديد قرب مدينة مليانة. وكذلك طالابو Talabot الذي تخصص في جانب الاستثمار في المناجم، كما كان بربروجر[46] Berbrugger مؤسس المكتبة الوطنية بالجزائر[47].

وبما أن الزراعة كانت من أهم المجالات التي اعتمد عليها الاحتلال الفرنسي للجزائر في تنمية اقتصاد المستعمرة لإطعام المتروبول (فرنسا) فقد أولوا اهتماما كبيرا في تطوير وتحديث الأساليب التي من شأنها زيادة المحاصيل والمنتوجات الفلاحية، بداية بإنشاء السدود الصغيرة في الأطلس التلي باتجاه السهول الساحلية الكبرى التي تمثل محيطات التعمير الأساسية للاستعمار الفرنسي وهي: سهول متيجة، عنابة، سكيكدة، وهران والسهل المنخفض لحوض الشلف[48].

وفيما يخص شبكة الطرق الحديدية أنشأت لأغراض عسكرية واستعمارية ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما يظهر أن هذه الشبكة لا تمتد إلا قليلا مع الساحل، بعيدة عنه بعشرات الكيلومترات. وهذا يعود إلى ضيق السهول الساحلية وتقطعها. وتمتد في شكل طولي وأخر عرضي. فالخط الأول يخدم مصالح المستوطنين في المنطقة التلية وهو خط رئيسي تتصل به الفروع من الشمال والجنوب. والخط الثاني عرضي ينطلق من المدن الرئيسية في الشمال نحو الواحات والآبار في الجنوب[49].

لقد اعتمدت إيديولوجية الفكر السانسيموني على تأسيس مشروع اقتصادي اجتماعي على مستوى العالم، تكون فيه الصناعة المصدر الأساسي لوجود المجتمع الذي هو أصل كل ثروة ورخاء. "ومن السان سيمونيين من العسكريين الذين كان لهم دور خطير في السياسة الفرنسية في الجزائر الدوق دومال[50] (duc d'Aumale) وكذلك الجنرال بيدو[51] (Bedeau) اللذان حكما في الشرق الجزائري. كل هؤلاء وغيرهم سواء عسكريين أو مدنيين، قد لعبوا أدوارا خطيرة في السياسة الفرنسية في الجزائر على مختلف الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية كإقامة المشاريع العمرانية وبناء المدارس والطرق المعبدة والسكك الحديدية"[52].

ومن زاوية أخرى، يؤكد الباحث محمد رحمون مساهمة الساسيمونيين، وخاصة في مجال إنشاء السكك الحديدية والمواصلات البحرية في الجزائر، كما أنهم أبدوا الاهتمام بالتنقيبات المنجمية والصناعات الزراعية.، خاصة وأن الدراسات الاستعمارية الفرنسية أظهرت أن باطن الأرض في الجزائر كان يحتوي على كل أنواع الصخور والخامات مثل الحديد والتنغستن والأنتيموان والنحاس والزنك والرصاص والكبريت والكوبالت وغيرها[53].

ومن أهم أعمالهم بالغرب الجزائري تشييد السكة الحديدية الرابطة بين مدينة أرزيو وسعيدة البالغ طولها 212 كلم، وكان الهدف من وراء إنجازها هو استغلال مادة الحلفاء في السهوب في الجنوب الغربي من الجزائر واستعمالها في مجالات الصناعة التحويلية للورق[54].

خاتمة:

بعد دراسة موضوع المقال، يمكن استخلاص الاستنتاجات التالية:

- إن اهتمام الفرنسيين بالجزائر يدخل ضمن الاهتمام الأوروبي بصفة عامة، الذي كان يهدف إلى التوسع في كل إفريقيا. وكان السانسيمونيون يمثلون أحد منظري الاستعمار الذي استهدف تكريس الاستعمار الاستيطاني في الجزائر.

- تركزت أفكار السانسيمونيين حول تأمين احتلال الجزائر باستخدام الحرب كوسيلة وحيدة ومضمونة النتائج، وأحسن وسيلة للقيام بالحرب هي القيام بها بتكاليف أقل لأجل تكثيف الاستثمارات الاقتصادية وتنويعها، وهي السياسة التي تبناها منظر الاستعمار الفرنسي دو طوكفيل.

- تزايد نزوح الجزائريين نحو الجبال والصحراء والهجرة الى الخارج، بعد الاهتمام الذي أولاه السانسيمونيون في الاستثمارات التي كانت على حساب نهب وسلب أراضي الجزائريين، في مقابل منحها للمستوطنين وإنجاز المشاريع الاقتصادية بقصد استقرارهم وتسهيل حياتهم.

-كانت لهذه السياسة أثار وخيمة على المجتمع الجزائري الذي أصابته الآفات الاجتماعية والأزمات الاقتصادية من مجاعات وأوبئة وأمراض فتكت بالسكان وحصدت أرواح الكثير منهم، ونتيجة لهذه الأوضاع المزرية عاش الجزائريون حياة البؤس والشقاء والتشرد طيلة فترة الاحتلال الفرنسي.

- من بين أهم الأساليب التي اتخذتها فرنسا الاستعمارية في تحقيق احتلالها للجزائر هي اعتمادها على سياسة الغزو العسكري والسياسة الاقتصادية الاستيطانية، وهذين النسقين المترابطين (السياسية والإيديولوجية) يمثلان خطط استراتيجية تسعى من وراءهما سلطات الاحتلال الفرنسية تحقيق الاستعمار الدائم.

- مصادرة أوقاف الجزائريين ونهب أملاكهم وأرزاقهم، كانت لها آثار سلبية نجمت عن تطبيق سياسة الاستعمار الاستيطاني للاستقرار والاستثمار في الجزائر، وهو المشروع الذي سعت فرنسا من ورائه لاجتثاث جذور الشعب الجزائري تشويه هويته العربية الإسلامية والقضاء على كيانه ومسخ تاريخه.

- معظم الأعمال الاستعمارية التي حققها السانسيمونيون في الجزائر من مشاريع وشبكة الطرق والسكك الحديدية والمطارات والموانئ، كانت موجهة للمستوطنين ومن المعلوم أن فوائدها لم تصل إلى الجزائريين طيلة مدة الاحتلال.

- معظم الاستثمارات، وخاصة ما تعلق بالمجال الاقتصادي في الجزائر كانت موجهة لخدمة وتنمية الاقتصاد الفرنسي، وهذا ما يبرر نوايا الفرنسيين واهتمامهم بهذا المجال الحيوي، والذي كان إحدى دوافع الاحتلال.

- بعد خيبة أمال السانسيمونيين بمصر، ركزوا على الوجهة الجزائرية واعتبارها البلاد المنقذة لتطبيق أفكارهم، وفي هذا الإطار عملوا على تشجيع الهجرة الأوروبية إلى الجزائر بصفة عامة، بينما يكون الاحتلال فرنسيا بصفة خاصة.

- محاولة الاستعمار الاستيطاني الفرنسي إقامة كيان اجتماعي أوروبي في الجزائر، نتيجة تشجيعه للهجرة الأوروبية وتوفير مناخ الاستقرار بفضل المشاريع التي تخدمهم من جهة، وإبعاد الجزائريين عن وطنهم وحضارتهم، من جهة أخرى.

- إ صرار فرنسا المتزايد على احتلال الجزائر، في مقابل تزايد عدد المهاجرين الأوروبيين، وذلك ما تطلب الاستثمار في انجاز المنشآت كانت من نتائجه مسايرة الاستعمار المدني إلى جانب الاستعمار العسكري، وهذا ما كان يسعى إليه الفكر السانسيموني.

- اعتمدت المشروعات الاستعمارية الفرنسية من منظور رواد التيار الساسيموني في الجزائر في بداية الاحتلال على تسخير الجزائريين المسلمين في شق الطرق البرية والسكك الحديدية والمناجم والسدود وقنوات الري، وكان الهدف الخفي لهذه المشاريع توسيع الاحتلال الرسمي الفرنسي وطرد السكان الأصليين من أراضيهم وتكثير العنصر الأوروبي في البلاد.

الهوامش (الإحالات):

[1] جميلة عيادة الشمري، (مفهوم التيارات الفكرية وعلاقته بالمصطلحات ذات الصلة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، www.aluka.net، ص 14.

[2] السان سيمونية Saint-Simonianisme هي حركة سياسية واجتماعية فرنسية في النصف الأول من القرن 19، قامت على أساس أفكار عالم الاجتماع كلود هنري دي روفروا، كونت سان-سيمون (1760–1825) والسان سيمونيون هم أتباع سان سيمون الفيلسوف والاقتصادي الفرنسي (1760-1825) الذي كان يدعو إلى أن السلطة يجب أن تسلم إلى الصناعيين لا للعلماء، لأنهم هم الرؤساء الحقيقيون للشعب، فهم الذين يقودونه في أعماله اليومية. فالأمة هي ورشة صناعية واسعة، تزول فيها فروق المولد والنسب، وتبقى اختلافات القدرات. وقد كانت آراؤه وراء بدايات "العلم الوضعي" و الاشتراكية. ورأى السان سيمونيون في مصر محمد علي فرصة لتطبيق أفكارهم، لذا فقد سافر الكثير منهم إلى مصر للمساهمة في نهضتها. وكان من أتباع سان سايمون الفيلسوف أوغست كومت، والمهندس فرديناند دي لسبس الذي قام بحفر قناة السويس في مصر. للمزيد ينظر:

Saint Simon et le Saint-Simonisme, Presses Universitaires de France - PUF, coll. « Que sais-je? », 1999, 128 p. (ISBN 978-2-13-049840-7). Voir aussi: www.marefa.org.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 437.

[4] عبيد مصطفى، الفكر الاستعماري السانسيموني في مصر والجزائر (1833-1870)، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 9.

[5] نفسه، ص 29.

[6] لويس الرابع عشر (1638-1715)، حمل لقب الملك الشمس، ملك فرنسا (1643-1715)، عرف بعدائه الشديد للجزائر، وبدعوى الحفاظ على الأمن البحري في حوض البحر الأبيض المتوسط، أرسل عدة حملات بحرية ضد الموانئ الجزائرية، وخاصة العاصمة وجيجل سنة 1682 انتهت بعقد معاهدة سلم مع الجزائر، للمزيد ينظر: Lucien Bély (dir.), Dictionnaire Louis XIV, Paris, Robert Laffont, coll. « Bouquins », 2015, 1405 p. (ISBN 978-2-221-12482-6.

[7] مولود بلقاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج2، الطبعة2، شركة دار الأئمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 21.

[8] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 320.

[9] للمزيد ينظر: www.marefa.org

[10] Said Almi, Urbanisme et colonisation présence française en Algérie, édit, Hayen, Sprimont (Belgique), 2002, P 9.

[11] بروبير أونفونتان (1796-1864)، عالم اجتماع فرنسي، وهو أحد قادة الرئيسيين للحركة السان سيمونية، كاتب ورجل أعمال صاحب مشروع حفر قناة السويس، وخاصة تطوير السكك الحديدية في فرنسا ومستعمراتها، انتقل من مصر إلى الجزائر لتحقيق المصالح الاقتصادية للاحتلال الفرنسي في الجزائر. للمزيد ينظر: Bernard Jouve, L'Épopée saint-simonienne, Saint-Simon, Enfantin et leur disciple Alexis Petit : de Suez au pays de George Sand, Paris, Guénégaud, *2001*.

[12] مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، تر/ بن عيسى حنفي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 279.

[13] محمد الطيب عقاب، مدخل إلى العمارة الجزائرية قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر والترجمة، الجزائر، 2007، ص 9.

[14] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 438.

[15] يحي محمد نبهان، معجم مصطلحات التاريخ، ط1، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، 2008، ص 16.

[16] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 440.

[17] إسماعيل عربان(1812-1884)، اسمه الأصلي توماس أوربان، صحفي ومترجم فرنسي، لعب دورا في سياسة الاستعمارية الفرنسية القائمة على توسيع الاستعمار الاستيطاني في الجزائر في عهد الإمبراطور نابليون الثالث. للمزيد ينظر: Charles-Robert Ageron Algérie algérienne de Napoléon III à de Gaulle, Paris, 1980, pp. 17-36.

[18] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج6، ص 442.

[19] نفسه، ص 445.

[20] نابليون الثالث (1808-1873)، رئيس الجمهورية الفرنسية الثانية(1848-1852) ثم إمبراطور لفرنسا وحمل سم نابليون الثالث (1852-1870)، ازداد في عهده نفوذ السانسيمونيين في رسم السياسة الفرنسية، ومنها تدشين قناة السويس عام 1869، وخاصة في الجزائر فأصدر نابليون الثالث المرسوم المشيخي المعروف سناتوس كونسولت عام 1863، لمصادرة المزيد من الأراضي الجزائرية ومنح امتيازات اقتصادية واسعة للكولون لإقامة مشاريع عمرانية كالمستوطنات والسدود والطرق والجسور والسكك الحديدية. للمزيد ينظر: www.marefa.org

[21] شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر/ عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص 57.

[22] Prosper Enfantin, Colonisation de l'Algérie, P.Bertrand, Paris, 1843, pp 205.

[23] ألكسيس دي طوكفيل (1805-1859)، عالم اجتماع فرنسي، زار الولايات المتحدة عام 1831، لدراسة النظام السياسي الأمريكي، وأعجب بسياسة التطهير العرقي للسكان الأصليين، وبعد عودته من أمريكا تولى التنظير لحرب الإبادة ضد الجزائريين تحت قيادة بيجو، ثم عين وزير الخارجية في حكومة الجمهورية الفرنسية الثانية (1849-1851)، اعتزل السياسة بعد الانقلاب الذي قاده نابليون الثالث عام 1852. للمزيد ينظر: Françoise Mélonio, Alexis de Tocqueville, ADPF, 2006.

[24] Prosper Enfantin, Op-cit, pp 3-9.

[25] Ibid, p 7.

[26] ألكسيس دي طوكفيل، نصوص عن الجزائر، في فلسفة الاحتلال والاستيطان، تر/ إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 33.

[27] المصدر نفسه ، ص 34.

[28] نفسه، ص 19-20 .

[29] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2009، ص 92-114.

[30] أبو لقاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، مرجع سابق، ص 17-18.

[31] ألكسيس دي طوكفيل، مصدر سابق، ص 61 .

[32] Prosper Enfantin, Op-cit, p 11.

[33] هنري بورجو (1895-1964)، كبير المستوطنين الفرنسيين من أصل سويسري، كان له نفوذ كبير في رسم السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، ولذلك يطر على مزارع واسعة من الكروم حتى حمل لقب ملك العنب، فصلا عن أسهم في الشركات الاحتكارية الفرنسية في الجزائر كالتبغ. للمزيد ينظر: Mort de M. Henri Borgeaud ancien sénateur d'Alger », Le Monde, 27 mai 1964.

[34] Prosper Enfantin, Op-cit, pp 130-132.

[35] ألكسيس دي طوكفيل، مصدر سابق، ص 48.

[36] بيجو (1784-1849)، حمل لقب دوق ديسلي، حاكم عام في الجزائر، لعب دورا خطيرا في توسيع الاحتلال معتمدا على المنظرين الساسيمونيين، وخاصة أونفونتين ودي طوكفيل في إخماد مقاومة الأمير عبد القادر، وخاصة استخدام أسلوب الأرض المحروقة. للمزيد ينظر:.Olivier Le Cour Grandmaison, Coloniser Exterminer, Fayard, Paris, 2005

[37] الأمير عبد القادر(1807-1883)، علم مجاهد، ومقاوم شاعر، بايعه الجزائريون عام 1832 أميرا لمقاومة المستعمر الفرنسي .مرت حياته بثلاث مراحل أساسية، الأولى قضاها في طلب العلم والتعرف على أوضاع البلدان العربية في طريق الحج، والثانية عاشها في الجهاد ومقاومة العدو، وقضى الثالثة أسيرا في فرنسا ثم مفكرا في دمشق. شارك في الدفاع عن وهران في بداية الاحتلال تت راية والدي محي الدين والذي لقبه ناصر الدين، وبويع على الجهاد في رجب 1248 الموافق نوفمبر 1832، وحصلت له البيعة العامة بمعسكر في 17 رمضان 1248، الموافق 4 فيفري 1833 سارع لتشكيل حكومته ووضع أسس الدولة الجزائرية الحديثة، وجمع المتطوعين وكون جيشا قويا وحقق نجاحات أرغمت قائد الجيش الفرنسي في وهران دي ميشال على عقد اتفاق معاهدة في 26 فيفري 1834 وتنص على هدنة أقرت له من خلالها فرنسا سلطته على منطقة الغرب الجزائري ومنطقة الشلف، ولكن الاستعمار لم يلتزم ببنود المعاهدة وخرقها عدة مرات.أجبر مرة أخرى الفرنسيين في 30 ماي 1837 على إمضاء معاهدة التافنة، التي تعترف بسيادته على الناحية الغربية والوسطى من الجزائر، والتي أمضاها الجنرال بيجو. الذي خرق المعاهدة ونهج سياسة الأرض المحروقة باستعمال أساليب وحشية في قتل الأطفال والنساء والشيوخ وحرق المدن والقرى المساندة له ولخص الجنرال بيجو تلك السياسة في تهديد موجه لرجال الأمير "لن تحرثوا الأرض، وإذا حرثتموها لن تزرعوها، وإذا زرعتموها لن تحصدوها"، وهي السياسة التي أدت إلى سقوط مدنه ومراكزه العسكرية، وأرغمته على شن حرب العصابات (1844-1847) ومع استمرار الضغط الفرنسي عليه لجأ إلى المغرب الأقصى أملا في دعم السلطان عبد الرحمن، لكن ضغوط الفرنسيين

وتهديدهم باحتلال المغرب حال دون ذلك، فاضطر الأمير إلى طلب الاستئمان لأنصاره في ديسمبر 1847. وأشهر مؤلفاته المقرض الحاد، السيرة الذاتية، وذكرى العاقل وكان يعرف باسم رسالة إلى الفرنسيين، والمواقف. للمزيد ينظر: www.aljazeera.net

[38] يحي جلال، السياسة الفرنسية في الجزائر (من 1830 إلى 1960)، دار المعرفة، القاهرة، 1984، ص 220.

[39] دو طوكفيل، مصدر سابق، ص 198.

[40] دي طوكفيل ألكسي، مصدر سابق، ص 211.

[41] نفسه، ص 216.

[42] أحميدة عميراوي، (آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 73-74.

[43] عبد الله شريط ومحمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة (الجزائر)، 1965، ص 216.

[44] مصطفى عبيد، مرجع سابق، ص 33.

[45] فكتور بواريل (1804-1881)، مهندس معماري فرنسي، من أتباع الساسيمونية، ساهم في أعمال هندسية منها إصلاح ميناء الجزائر العاصمة في عهد نابليون الثالث. للمزيد ينظر: Marc Gény, Victor Poirel (1804-1881), Nancy, 1970.

[46] بربروجير (1801-1869)، مستشرق وعالم أثار فرنسي، متخصص في تاريخ الجزائر، أسس عام 1856 الجمعية التاريخية الجزائرية والتي أصدرت المجلة الإفريقية وكان رئيس تحريرها، وساهم في إنشاء المكتبة المركزية عام 1865. للمزيد ينظر: François Pouillon, Dictionnaire des orientalistes de langue française, KARTHALA Editions Paris, 2008

[47] Said Almi, Op-cit, p 27.

[48] أحميدة عميراوي، مرجع سابق، 2007، ص 63.

[49] نفسه، ص 69.

[50] الدوق دومال (1822-1897)، ابن الملط لويس فيليب، من الفرع الأورليانى لأسرة البوربون، حاكم عام على الجزائر، في عهده تم خرق معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر واحتل بيجو أراضي شاسعة من دولة الأمير عبد القادر، وخاصة مليانة والشلف سنة 1843. كما تم نفي الأمير عبد القادر في ديسمبر 1847، ولكن بعد الثورة الفرنسية ضد الملكية في شهر فيفري 1848، فر من الجزائر. للمزيد ينظر: Robert Burnand, Le duc d'Aumale et son temps, (Hachette,Paris, 1949, p. 98.

[51] بيدو (الجنرال) (1804-1863)، حاكم عام في الجزائر، لعب دورا كبيرا في قمع المقاومة الجزائرية في عهد بيجو. للمزيد ينظر: Marie-Alphonse Bedeau, *d*ans Adolphe Robert et Gaston Cougny, Dictionnaire des parlementaires français, Edgar Bourloton Paris, *1889*

[52] أحميدة عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر)، 2004، ص 125-126.

[53] Mohammed Rahmoun, (L'apport Saint-simonien dans l'établissement colonial en Algérie), in Revue d'histoire des techniques, V1 : Ville et techniques, Alger, 2016, p 48.

[54] Paul Bourde, A travers l'Algérie, Editeur, G.Charpentier, Paris, 1880, p320.